[خلَلُ الخلّال وتخلخُلُ عقيدته وأصحابه من حنابلة بغداد في اعتقاد التبعيض والجلوس]

بنى المجسّـمةُ كثيرًا من عقائدهم على الأخبار المكذوبة على النبي صـلى الله عليه وآله وسـلّم، وعلى الصـحابة والتابعين، والتجسيم لم يفشُ في الحنابلة من قليل، فقدماؤهم كالخلّال وأصـحابِه من حنابلِ بغداد وغيرها كانوا يدافعون عن عقائد التجســيم كالجلوس والتبعيض، وكعادتهم يوظفونَ الأخبار المكذوبة والواهيات، ويُقحمون روايات صـحيحة لم تُقَل في تلك المناسـبات، فيُفسّـرون بها عقائد التجسـيم، حتى صـارت هذه الخرافات عندهم أصـلَ الدّين الّذي يكفرُ منكرُه، أما عند من جاء بعدهم فحدّث ولا حرَج في العقائد المكذوبة المنسـوبة للسـلف التي تطفحُ بها كتبهم، ومنها على سـبيل المثال لا الحصـر: عقيدة الإصـطخري، وعقيدة مقاتل المجسّـم التي نسـبوها إلى الإمام أحمد باسـم (الرد على الجهمية)، والعقيدة الشـهيرة المكذوبة على الشـافعي، وغيرها الكثير، أما كتبُ أبي إسـماعيل الهروي، وابن منده الأصـبهاني، وابن قدامة، وأبو يعلى، وابن الحنبلي، وابن تيمية وتلاميذه، ففيها من الاحتجاج بمضـامين الأخبار المكذوبات على رسول الله وعلى أصحابه والتابعين ما يَندى له جبين أهل التوحيد.

–فقد عقد الخلال في كتابه (السّـنّة) فصـلًا يتقاطرُ تجسـيمًا، سـمّاه (ذكر المقام المحمود)، ولم يكن هدفه منه المقام المحمود ولا يحزنون، بل كان هدفه تكفير من لم يعتقد أنّ الله جالس على العرش وأنّه ذو أبعاض! وأورد فيه رسـالةً من حنابلة بغداد يدافعون فيها عن خبر القعود والإقعاد، وعن خبر التبعيض، ويكفّرون من ردَّ مضمونَ هذا الخبر أو أنكر ما فيه!

وروى فيه خبرًا عن ليث بن أبي سُـليم عن مجاهد: (يُجلسـه معه على العرش)، يعيني أنّ الله جالسٌ على العرش، وخبر سيف السدوسي: (جيء بنبيكم فأُقعِدَ بين يدي الله على كرسيّه)، وخبر: (فلا يزالُ يدينه حتى يمس بعضه) ثم أورد خبرا يفسّرُ به معنى هذا «البعض» وفيه: (فيقول الله عزّ وجلَّ: خُذ بقَدَمي)!

–ثم حشدَ لهذه المتون الأربعة 60 إسنادًا، كلها أسانيد تالفة ساقطة بنسبة 100% مثل عقيدتهم في التبعيض والجلوس.

وفي خبر مجاهد مَواقف:

الموقف الأوّل: أنّه ضعيفٌ، ومضطربُ المتن

وهذا الخبر مرويّ بلفظين: (يجلسُــه معه على العرش) و(يجلسُــه على العرش) والخلّالُ لا يفرّقُ بينهما لأنه احتجّ بقول الجريري –كما سـيأتي– لبيان أنّه إذا كان النبي سـيجلسُ على العرش، فهو إذن سـيكون جالسا مع الله!

–أما خبر "معه" فهو تجسيمٌ صريح.

–وأما الثاني فمخالفٌ للروايات الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه والتابعين في أنّ المقام المحمود هو الشفاعة:

1–كما في صحيح البخاري: **عن أنس أن النبي (ص) قال: (فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحُد لي حدا، فأخرج فأدخلهم الجنة...قال: "وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَه نبيكم صلى الله عليه وسلم")**

2–وفي مستدرك الحاكم بإسناد صحيح **عن جابر عن النبي (ص) أنه قال: (ثمّ يؤذن لي في الشّفاعة فأقول: يا ربّ عبادك عبدوك في أطراف الأرض، فذلك المقام المحمود)**

3–وفي صحيح البخاري **عن ابن عمر أنه قال: (حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)** وعن جابر رواه الطبري في تفسيره بإسناد صحيح: **(فأرفع رأسي فأقول: رب أمتي، فيقال: هم لك. فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطني يومئذ بذلك المقام، وهو المقام المحمود)**

4–وفي الإيمان المنسوب لابن أبي شيبة بإسناد صحيح **عن سيدنا سلمان: (فيشفع في كلّ من كان في قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان...فقال سلمان: فذلكم المقام المحمود)** وغيرها الكثير.

5–وروى أحمد بإسناد صحيح: **(عن كعب بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود)**

6–وفي المطالب العالية لابن حجر **عن حذيفةَ أنه قال: (يجمع الناس في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهديُّ من هديت، عبدك بين يديك، أنا منك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت، فهو قوله عز وجل: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا})**

-فخبر ليث عن مجاهد بلفظَيه الســابقين مخالفٌ للأخبار الصـــحيحة الّذي أجمعت عليها الأمّة، قال الذّهبي في علوّه: (فَأَما قَضِيَّة قعُود نَبينَا على الْعَرْش فَلم يثبت فِي ذَلِك نَص بل فِي الْبَاب حَدِيث واه).

-وذكر ابنُ عبد البَرّ في التمهيد أن هذا الخبر عن مجاهد مخالفٌ لإجماع الصــــحابة: (ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن لـه قولين في تأويل آيتين، هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما، أحدهما هذا [أي قوله في الآية {ناظرة} قال تنتظر الثواب]، والآخر قوله في قول الله عز وجل **{عســى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}** حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو أمية الطرســوســي حدثنا عثمان بن أبي شــيبة حدثنا محمد بن فضــيل عن ليث عن مجاهد: «**{عســى أن يبعثك ربك مقاما}** قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه» وهذا قولٌ مخالف للجماعة من الصحابة ومَن بعدَهم) ج5/ص169-170

-هذا مع أنّ الرّواية الصحيحة عن مجاهد أنّه قال في تفسيرها: (شفاعة محمد يوم القيامة) كما رواها الطبري بإســناد صــحيح، منها قوله: (حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصــم، قال: ثنا عيســى ح. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحســـن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: **{مقاما محمودا}** قال: شفاعة محمد يوم القيامة. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله)

وهذا يدلّ أن عقيدةَ الخلال -وأصــحابِه من مجسـمة الحنابلة- هي في أصـلها عقيدةٌ مُختَرَعَة، لا قالها مُجاهد ولا غيرُه، وإنما قالوها هم فتحوّلت هذه الخطيئة إلى مرتبة الشــهادتين الّتي يكفرُ كلّ من ردّهما! هذا الخلل المنهجيّ هو الّذي أدى بهم إلى تحريف العقائد والأخذ بالخرافات، ثم لا يجدون عقلا يؤيدونها به، فيلجأون إلى مجرّد التكفير والدعوة إلى قتل المنكرين لها كما سيأتي.

الموقف الثاني: محاولات الخلال لتصحيحه وإقحامه لكلام الإمام أحمد فيما لا يقول به الإمام

مما أفسد على الخلال خطّته في تصحيح خبر مجاهد أنّ الإمام أحمد كان يضعّف ليث بن أبي سليم ورواياته، قال الإمام: (لَيْث بْن أَبِي ســليم مُضْــطَرب الحَدِيث) العلل ومعرفة الرجال برواية عبد الله، وقال عبد الله بن أحمد: (سُئِلَ أبي وَأَنا أسمع عَن ثُوَيْر بن أبي فَاخِتَة وَلَيْث بن أبي سليم وَيزِيد بن أبي زِيَاد فَقَالَ مَا أقرب بَعضــهم من بعض) أي في الضــعف، وقال عبد الله بن أحمد: (حَدثنِي عُثْمَان بن أبي شيبَة قَالَ:

سَألت جَرِيرًا عَن لَيْث وَعَطَاء بن السَّائِب وَيزِيد بن أبي زِيَاد، فَقَالَ: فَإِن يزِيد أحْسنهم استقامة فِي الحَدِيث، ثمَّ عَطاء بن السَّـائِب، وَكَانَ لَيْث أَكثر تَخْلِيطًا، وَسَـأَلت أبي عَن هَذَا فَقَالَ: أَقُول كَمَا قَالَ جرير) وقال ابن أبي حاتم: (سمعت أبى وأبا زرعة يقولان ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث) وقال المروذي: (سألت أبا عبد الله عن ليث بن أبي سُـــليم، فقال: ليس بذاك) من العلل برواية المروذي. وقال أحمد بن حنبل: (ليث لا يفرح بحديثه، كان ليث يرفع أشياء لا يرفعها غيره، فلذلك ضعفوه) كما في سنن الترمذي.

وقد روى الخلال حديث الجلوس والقعود بأسانيد أخر، كلها أشد ضعفًا من رواية ليث.

–وهذا يدلّ على أنّ أحمد لا يقبل بهذا الخبر لأنه يعلم ضــــعفه، ومما يدلُّ على ذلك أكثر أنّه مخالفٌ لما رواه الإمام أحمد في مسنده بإسـناد صـحيح عن كعب بن مالك كما سـبق، ورواه كذلك عن أنس عن النبي صـلى الله عليه وآله أنه قال: **(ثم يقول: ارفع محمد، وقل تُسـمع، واشـفع تشـفع، وسـل تعط، فأرفع رأســي، فأحمد ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشــفع فيحد لي حدا، فأخرج فأدخلهم الجنة..فلا يبقى في النار إلا من حبســه القرآن "أي وجب عليه الخلود"، ثم تلا قتادة: {عســى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، قال: هو المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم)**

–فما كان من الخلال "الأثريّ" إلا أن استنجدَ "بأثر" آخر عن عبد الله بن أحمد ليموّه به على السامعين بأنّ أحمد كان ممن يعتقد صـحّة الحديث! فقال: (ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: سَـمِعْتُ حَدِيثَ ابْنِ فُضَـيْلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: {عَسَـى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}، مِنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ أَخِيهِ، عَنِ ابْنِ فُضَيْلٍ. قَالَ: فَذَاكَرْتُهُ أَبِي، فَقَالَ: «مَا وَقَعَ إِلَيَّ بِعُلُوٍّ» وَجَعَلَ كَأَنَّهُ يَتَلَهَّفُ، يَعْنِي إِذَا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ بِعُلُوٍّ)

ثمّ أوردَه بألفاظٍ أخرى عن عبد الله أنه قال: (حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَـيْلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} قَالَ: «يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ»، فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْهُ)

وقد أورد الخلال هتين القصتين في سياق تأكيده على صحّة خبر مجاهد.

–إلا أنّه من الواضـــح أنّ القصـــة الثانية ليس فيها تلهُّفٌ ولا يحزنون، وكيف يتلهف أحمدُ على حديث وهو عنده مضـطرب ضـعيف؟؟ ضـعيف لو كان مرويًّا عن النبي المعصـوم (ص)، فما قيمته لو كان عن مُجاهد أو غيره ممن يصــيب ويُخطئ؟! المهمّ في هذه الحكاية المضـــطربة أنه ليس فيها كلمة "معه" مما أفســـدَ عليه كل ذلك، حتى ولو كانت أحمد قد تلهف عليه فلا يدل هذا على جواز الأخذ بذلك الخبر المختلّ، إلا أنّ المهم هنا هو أنّ الخلاّل أوردها في هذا الموضـع مسـتشـهدًا بها للتلميح إلى أنّ أحمد كان يتحسّـــر على فوات هذه الرواية عنه! وليس الأمر على ذلك، فقد كان أحمد لا يروي الحديث عمن يجزمُ

بضعفه، قال أبو يعلى الحنبلي –عبدُ الشّابِ الأمرَد– في إبطال تأويلاته: (لأنّ أحمد قال لأحمد بن عيسى في منزل عمّه: «حدِّثْهم به» [يقصد حديث الشّابّ الأمرد] ولا يجوزُ أن يأمره أن يحدثهم بحديث يعتقد ضعفه، لا سيَّما فيما يتعلّقُ بالصّفات) ص197-196

الموقف الثالث: تكفير الخلّال لكلّ من لم يؤمن بخبر القعود والإقعاد

أوردَ الخلال الحنبليّ 311هـ مجموعةً من أقوال الحنابلة المعاصرين له من طبقة شيوخه وأصحابه ممن وصفهم بـ"أصحاب الإمام أحمد" في تكفير من لا يؤمنُ بعقيدة الجلوس، ومنها:

1-جهميّ: (قال أبو داوود السجستاني: من أنكر هذا فهو عندنا متَّهَم، مازال النّاسُ يُحدّثون بهذا يريدون مغايظةَ الجهميّة يُنكرون أنّ على العرش شيء)

[خبر رقم 244 ولكن رواها عن أبي داوود بألفاظ أخرى وليس فيها كلمة "معه" ولم يذكر فيه أنه من أحاديث الصفات 271 أصلا، فلاحظ مدى الاضطراب، وهذا الخلَل صار عند الخلّال دينا يكفر مخالفه، وأبو داوود بريء من هذا التجسيم]

2-كافر يردّ على الله: (قال: «يقعده معه على العرش» ، قال أبو بكر بن أبي طالب: من رده فقد رد على الله عز وجل، ومن كذب بفضيلة النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالله العظيم) [246]

3-كافرٌ متّهَم على الله: (وأخبرني أحمد بن أصرم المزني، بهذا الحديث، وقال: «من رد هذا فهو متهم على الله ورسوله، وهو عندنا كافر») [247]

4-جهميّ: (هارون بن معروف، يقول: «ليس ينكر حديث ابن فضيل عن ليث، عن مجاهد إلا الجهمية») [253]

5-حكمه القتل: (أو أظهر إنكاره، تراه كان يخرج من ثم إلا وقد قتل، قال أبو بكر بن صدقة، وصدق، ما حكمه عندي إلا القتل) [254]

6-عدوّ لله، منسلخٌ من الدين: (هذا العدو لله المسلوب أن رد هذا الحديث وخالف الأئمة وأهل العلم، وانسلخ من الدين...فمال أولو الزيغ والنفاق إلى قول الملحدين، وبدعة المضلين) [266]

7-جهميّ: (فقيل للجريري: إذا كان على كرســـي الرب فهو معه؟ قال: ويحكم، هذا أقر لعيني في الدنيا، وقد أتى علي نيف وثمانون سنة ما علمت أن أحدا رد حديث مجاهد إلا جهمي)! [267]

8-جهمي مبتدعٌ خبيث مخالفٌ للإســلام في الصــفات التي تلاقاها الثقات بالســرور!: (وقال أبو بكر يحيى بن أبي طالب: رواه الخلق عن ابن فضــيل عن ليث عن مجاهد، واحتمله المحدثون الثقات، وحدثوا به على رءوس الأشهاد، لا يدفعون ذلك، يتلقونه بالقبول والسرور بذلك، وأنا فيما أرى أني أعقل منذ سبعين سنة، والله ما أعرف أحدا رده، ولا يرده إلا كل جهمي مبتدع خبيث، يدعو إلى خلاف ما كان عليه أشياخنا وأئمتنا، عجل الله له العقوبة، وأخرجه من جوارنا، فإنه بلية على من ابتلي به، فالحمد لله الذي عدل عنا ما ابتلاه به والذي عندنا، والحمد لله أنا نؤمن بحديث مجاهد ونقول به على ما جاء، ونُسلّم الحديثَ وغيره مما يخالف فيه الجهمية من الرؤية والصفات، وقرب محمد صلى الله عليه وسلم منه) [268]

إذن فهم يرونه من أحاديث الصفات التي يردها الجهمية المنكرون للصفات، وأنّ قربه من الله قربٌ في القعود!

9-جهميّ يُحذَّر منه: (وقال علي بن داود القنطري: ولا يرد حديث محمد بن فضـــيل، عن ليث عن مجاهد {عســـى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} قال: "يقعده معه على العرش" إلا جهمي يهجر، ولا يكلم، ويحذر عنه وعن كل من رد هذه الفضيلة...لقد أتى عليَّ أربع وثمانون سنة، ما رأيت أحدا رد هذه الفضيلة إلا جهمي) [269]

10-جهمي: (كل من ظن أو توهم أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لم يسـتوجب من الله عز وجل هذه المنزلة في حديث مجاهد فهو عندنا جهمي) [272]

11- زنديق يُقتَلُ ولا يُستتاب: (من رد حديث مجاهد فهو عندي جهمي، ومن رد فضل النبي صلى الله عليه وسلم فهو عندي زنديق لا يستتاب، ويُقتَل... فاحذروا من رد حديث مجاهد) [273]

12-كافر مرتد عن الإسـلام: (ومن رد حديث مجاهد، فقد دفع فضـل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، ومن رد فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام) [274]

13-جهمي: (لأن من رد هذه الأحاديث، فقد أزرى على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم..ما سـمعنا أحدا من شيوخنا المتقدمين من أهل السنة ذكر هذه الأحاديث إلا بالقبول لها، ويحتجون بها على الجهمية، ويقمعونهم بها، ويكفرونهم، ولا يردها إلا رجل معطل جهمي، فمن رد هذه الأحـاديث، أو طعن فيها فلا يكلم، وإن مات لم يصل عليه) [276]

14–جهمي متهم لرسول الله: (قال: "يجلسه معه على العرش". قال عبد الله: سمعت هذا الحديث من جماعة، وما رأيت أحدا من المحدثين ينكره، وكان عندنا في وقت ما سمعناه من المشايخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية، وأنا منكر على كل من رد هذا الحديث، وهو متهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم) [279]

15–زنديق: (حكم من رد هذا الحديث أن ينفى، لا يرد هذا الحديث إلا الزنادقة) [284]

16–جهمي: (قال عبد الوهاب: من رد هذا الحديث فهو جهمي) [286]

17–جهميّ: (قال: «يقعده معه على العرش»، قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه لأبي علي القوهستاني: «من رد هذا الحديث فهو جهمي) [287]

18–متهَم: (قال أبو بكر بن حماد: من ذكرت عنده هذه الأحاديث فسكت عنها فهو متهَم، فكيف من ردها وطعن فيها، أو تكلم فيها؟) [288]

19–مبتدع: (هذا الحديث صحيح ثبت، حدث به العلماء منذ ستين ومائة سنة، لا يرده إلا أهل البدع) [293]

20–مبتدع جهمي: (قال: «يقعده على العرش» ، قال أبو قلابة: لا يرد هذا إلا أهل البدع والجهمية) [303]

21–كافر أقتُلُه: (قال: «يجلسه على العرش»، وهذه فضيلة للنبي صلى الله عليه وسلم فمن رد فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر...أقتله...أقتُلُه) [304]

22–جهمي: (والله ما للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة مثلها، أدركت شيوخنا على ذلك يتلقونه بالقبول، ويسرون بها، ولا يردها إلا رجل سوء جهمي) [305]

**أمّا خبر سيف السدوسي فقد رواه الخلال بإسناد أشد ضعفا من أسانيد خبر ليث، وفيه: (عن عبد الله بن سلام، قال: إذا كان يوم القيامة ينزل الجبار عن عرشه وقدميه على الكرسي، فيقعد محمدا على الكرسي) [309]

ثم أورد تبديعَ من ردّه كما يلي:

23- يزري على رسول الله: (فمن رد حديث عبد الله بن سلام وحديث مجاهد في المقام المحمود، فقد أزرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد فضله، وكان عندنا مبتدعا) [310]

24-مبتدع: (من رد هذه الأحاديث فهو مبتدع ضـال، قال: ما أدركنا أحدا يرده إلا من في قلبه بلية، يهجر ولا يكلم) [314]

وبعض هذا التكفير مكذوب ومتلاعَبٌ بمتونه، أو قيل في أحاديث الصفات كالنزول والكلام والمجيء فنقله الخلال وحشره في مسألة الجلوس كي يوهمَ القارئ أنّ هؤلاء يعتقدون بعقيدة الجلوس والتبعيض، وأغلبه منقول عن مجاهيل، هم على الأغلب من الحشويّة المجسّمة الّذين لا يُحتَجُّ برأيهم في ابتياعِ نعلٍ لركاكة عقولهم، فضلا عن أن يُحتَجّ بهم في أصل من أصول الدّين.

النتائج:

1-إنّ هذا الكمّ الهائل من التكفير والتجهيم والتفسيق والتبديع لدليلٌ على أنّ أصحاب هذه الطريقة "الخلاّليّة" "الحنبليّة" يقدّمون كلام مجاهد وعبد الله بن سلام على كلام الله وكلام رسوله وما أجمع عليه الصحابة وأتباعَهم إلى هذا اليوم.

2-من لوازم الأخذ بطريقتهم تكفير الصّحابة، لأنّ الصحابة فسروا الآية بتفسير مخالف لخبر ليث.

3-أن هذه الفرقة من الحنابلة يتهمون الأمة الآخذة بهدي النبي وأصحابه بأنها جهميّة، لأنّ الأمة مُجمعةٌ على ردّ خبري ليث وإبطالهما وتبديع من يعتقد ما فيهما من تجسيم ولوازمه، فهؤلاء الفرقة من الحنابلة حاقدون على أمتهم، وسيظل كلّ من يمشيء على معتقدهم كذلك حاقدًا على أمته، فلا جرَمَ أن خرجَ من هذه الفرقة ابن تيمية الّذي لم يترك أحدً إلا ووصفه بالتجهم أو بالتأثر بالجهميّة، ولا جرمَ أن خرجَ منهم ومحمد بن عبد الوهاب والطائفة الوهابية.

4-ويدلّ هذا الهيجان من التكفير على أنّ منهجهم هذا المزعوم: "مذهب أهل الحديث" أو"مذهب أهل الأثر" مذهبُ غيرُ مأمون العواقب، فأنت ترى عيانًا كيفَ استطاع الخلال اختراقَه بكلّ سهولة، بأن يتخيّرَ من الروايات التالفة ما يريدُ إثباته ويترك ما يخالف هواه وهو يعلم صحته، فقد ترك مئات الروايات الصحيحة عن النبي (ص) وأصحابه والتابعين مما ينقضُ عقيدة الجلوس والأبعاض، لا سيما عن إمامه أحمد...فهذا الانتقاء والاجتزاء كفيلٌ بقلب الحقيقة، حقيقة معنى (المقام المحمود) وحقيقة موقف الإمام

أحمد منه، وما تحرّفت أديان الأنبياء الســـابقين إلا من لعب جهلة الرّواة الّذين كانوا يجتزؤون الحقائق بما يخالفُ معناها الّذي أراده الله ورسوله.

–تلك الطريقة التي ســلكها الخلّال قادته إلى الإصــرار على أنّ خبر ليث عن مجاهد –وخبر ســيف السدوسي عن عبد الله بن سلام– من أخبار الصّفات! أي أن الجلوس الوارد فيهما من صفات الله، والعياذ بالله، لأنّ فيهما أن الله جالس على العرش، بدليل أنّه عقّب ذلك بكلام الإمام أحمد عن الصـــفات فقال: (حدثنا أبو بكر المروذي، رحمه الله قال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصـة العرش، فصـححها أبو عبد الله، وقال: " قد تلقتها العلماء بالقبول، نسلم الأخبار كما جاءت) [283]

ثمّ أكّد ذلك بما رواه من قول القاسم بن سلام: (هذه الأحاديث حق لا يشك فيها، نقلها الثقات بعضـهم عن بعض حتى صــارت إلينا، نصــدق بها، ونؤمن بها على ما جاءت. قال أبو الفضــل: ونحن نقول في هذه الأحاديث ما قال أحمد بن حنبل متبعين له ولآثاره في ذلك) [311]

وقد سـبق أنّ الإمام أحمد يردّ خبر ليث عن مجاهد ويتهمه بالاضـطراب والضـعف، وكأنّ الإمام أحمد الّذي يحتجون بكلامه صار جهميًّا لو كانوا يعقلون!

ثمّ أكّد ذلك مرة ثانية فروى قول عبد الوهاب الورّاق: (سـألت أسـود بن سـالم عن هذه الأحاديث، فقال: «نحلف عليها بالطلاق والمشي، إنها حق») [312]

الخلال لم يروِ هنا إلا أحاديث الجلوس، فاستحضرَ هذا الخبر الّذي يحتوي على عبارة «هذه الأحادث» للإشــارة إلى أنّ "هذه الأحاديث" التي رواها "هنا" كالجلوس والتبعيض أحاديثٌ حقّ يجبُ اعتقادُها! أي إنها بلغت عندهم مرتبة اليقين، والله أعلم عن أيّ أحاديث كان يتكلم عبد الوهاب الورّاق، ولكن المهم هو أنّ الخلال استشهد بكلامه ليثبت أنّ «هذه الأحاديث» هي أحاديث الجلوس والتبعيض.

[قصة رسالة حنابلة بغداد]

ذكرَ الخلال 311هـــ في سنّته أنه أرسلَ من طرسوس إلى حنابلة بغداد سنة 292هـ يسألهم فيها عن خبر ليث عن مجاهد «يُقعِدُه معه على العرش» ويسألهم عن الحكيم الترمذيّ320هـــ وعن أصحابه الّذين ردّوا خبر القعود والإقعاد، فأجابوه برسالة تسعُ أهل الأرض تكفيرًا وتفسيقا وزندقةً، وهي موجودة برقم 266 في سنة الخلال، مليئة بتكفير من ردَّ خبر مجاهد.

والمهمّ في هذه الرّســالة أنهم جعلوا ردَّ هذا الخبر التالف ردًّا للدين وإنكارًا لصــفات الله وتجهُّما وزندقة، وزعموا أنّ الإيمان بالله لا يصحّ إلا بالإيمان بهذا الخبر الهالك! ثم حشروا ذكرَ الإمام أحمد ووجوب اتباعه في ذلك، كي يُظهروا أنّه ممن يقول بعقيدتهم، مع أنّه نصّ في مناســبات كثيرة على ضــعفه واضــطراب رواته.

ومما جاء في رسالة حنابلة بغداد وهم شيوخ الخلال وأصحابه:

(فالله الله، ثم الله الله يا إخوتاه من أهل الســنة والجماعة، والمحبة للســلامة والعافية في أنفســكم وأديانكم، فإنما هي لحومكم ودماؤكم، لا تعرضـــون لما نهى الله عنه عز وجل من الجدل والخوض في آيات الله... فالزموا من الأمر ما توفى الله عز وجل أبا عبد الله رحمه الله عليه، وأبا بكر المروذي، فإنه الدين الواضـح، وكل ما أحدث هؤلاء فبدعة وضـلالة... فهذا ديني الذي أدين لله عز وجل به، أسـأل الله أن يميتنا ويحيينا عليه... ولا يرد حديث محمد بن فضـيل، عن ليث عن مجاهد {عســى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} -قال: "يقعده معه على العرش"- إلا جهميّ، يُهجَر ولا يُكلَّم، ويحذَّرُ عنه وعن كل من رد هذه الفضيلة، وأنا أشهد على هذا الترمذي أنه جهمي خبيث..إلخ)

-فعقيدة الجلوس الإلهي هي لحومهم ودماؤهم...وإذا أردتم العافية في أديانكم وأن تكونوا من أهل السنة والجماعة فآمنوا بحديث ليث، لأنّه هو الدين والسّنّة، وإلا فأنتم جهمية كفار منكرون لصفات الله وتستحقّونَ سفك دمكم أيها الجهميّة! هذه هي ملامح "منهج أهل الأثر" عند هذه الطائفة من الحنابلة، تحولت الأخبار التالفة والأكاذيب إلى أصـل من أصـول الدين، وصــار كلّ من أخذ بقواعد العلم الصــحيحة جهميا زنديقًا، وهم يخرقون كل قواعد علم الحديث من أجل إثبات تجسيمهم.

-والجميل في الموضــوع أنّ الخلال في بداية الرســالة يصــحح هذه الأحاديث ويقول: **(وســرَّ الله أهل السنّة وزادهم سرورًا على ما عندهم من صحّته)** [266]

–ولو كان هؤلاء قد عملوا بنصــيحتهم: (فالزموا أبا عبد الله وأبا بكر المروذيّ) لما اعتبروا هذا الحديث من الدّين ولا من السنّة الصحيحة، لأنّ المروذي هو الّذي نقل عن أحمد بن حنبل تضعيفه...ولكن الخلال وأمثاله من محرّفي الحنابلة غيرُ مؤتمنين على الدين وهم أول المخالفين للإمام أحمد، أليس تبديلا للدين أن تتحول قضيّة الشفاعة المُجمَع عليها إلى قضيّة جلوس وقعود؟ فما بالك لو كان الجلوس مقرونا بعقيدة الأبعاض؟ ولهذا أقول: مذهب هؤلاء ليس مذهبًا مأمونا في الدين، بل هو مذهب باطل لا يأتي إلا بالأباطيل والخرافات المكذوبة.

[عقيدة الأبعاض]

ومما اشتملت عليه رسالة الحنابلة التي نقلها الخلال: تبعيض الله، تعالى الله عما يصفون

فبعد أن فرغ الخلال من خبر ليث عن مجاهد، أراد إثبات صـــفةٍ أخرى لله عزّ وجلّ لها علاقة عندهم بالقعود والإقعاد، وهي أن لله أبعاض..! ثمّ أوردَ خبرًا آخر يفسر به معنى هذا البعض بأنه قدَمُ الله!

–فأورد أوّلا خبر: (عن عبيد بن عمير: {وإن له عندنا لزلفى} قال: «ذكر الدنو حتى يمس بعضـــه») [320] وإسناده صحيح

–ثم أتبعه بخبر يفسّـــره به: (عن ابن عباس، في قوله: {وإن له عندنا لزلفى} يدنو منه حتى يقال له: خذ بقدمي) [323] وإسناده تالف

فالبعض الّذي سيمسه داوود –من وجهة نظر الخلال– هو قدمُ الله! نعوذ بالله من عبادة الأوثان، وإلا فما المناسبة بين (حتى يمس بعضه) وبين (خذ بقدمي)؟ ولماذا قرَنَهما ببعضِهما؟

*مع أنّ خبر عبيد بن عمير الليثي لا يوجدُ فيه على من يعود الضمير في «بعضه»، فاحتمالٌ كبير أن يكون قد قصد بعض العرش، فقد روى ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف في تفسيره: (يُقامُ داوود عند ساق العرش)، أما الخبر الّذي أورده الخلال المروي عن ابن عباس: (خذ بقدمي) فهو إسناد ضعيفٌ أيضًا، وربما تكون قضيّة مساس داوود لبعض العرش من الإسرائيليات التي لا تصدَّقُ ولا تُكذّب، لأنّ الليثي كان ممن أخذ عن سيدنا أبي بن كعب وغيره من أحبار اليهود، ومثل هذا الخبر لا يوجبُ عملا فضلا عن أن يوجبَ معتقدًا قد نصّ السلفُ على كفر القائل به، وخصوصًا الإمام أحمد، وهو وتكفير المبعضين هو معتمد الحنابلة:

1-قال أبو الفضـــل عبد الواحد التميمي: (**جملةُ اعتقاد أحمد بن حنبل والّذي كان يذهبُ إليه: أنّ الله عزّ وجلّ واحدٌ لا من عدد، وهو واحدٌ من كلّ جهة، وما سواه واحدٌ من وجه دون وجه...وكان يقول: إن لله تعالى يدين، وهما صــفة له في ذاته، ليســتا بجارحتين، وليســتا بمركبتين ولا جســم ولا من جنس الأجســـــام ولا من جنس المحدود، ولا الأبعاض ولا الجوارح**) [من "اعتقاد الإمام المنبّل" الملحق بطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى]

2-قال أبو يعلى في معتمده: (**أما التوحيد فهو العقد والقول بأن الله تعالى واحد..ليس بجســم فيُمَس ولا جوهر فيُحَس، ولا بذي تركيب أو آلة أو تأليف أو ماهية أو تحديد**) ص212 وإن كان قد تراجعَ عن هذا الكلام واستقرّ على اعتقاد التأليف والحدود والنهايات والكمّ المتصل.

3-وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين (يجب الجزم بأن الله تعالى واحد لا يتجزّأ ولا ينقسم أحدٌ لا من عدد) ص24

4-وقال الزاغوني (الجسم ما دخله التأليف...وقد ثبت أن الذات في حق الباري لا توصـفُ بأنها جسم مركَّبٌ تدخله الكمّية) ص313 ط عصام

**فأخبرونا: من هم الّذين على معتقد الإمام أحمد في قضـــــية التبعيض، حنابلة بغداد من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه كما نقل الخلال؟ أم التميميون وأبو يعلى -قبل انتكاسته- والزاغوني وابن حمدان؟